

الباب الرابع

تحليل المشكلات

الفصل الأول: أسباب وقوع العذاب

إن الله حكيم عادل وأنه يؤتي الأجر من أطاعه ويعذب من عصاه إن لم يتب، وإن استغفر المذنب فغفر الله إن شاء كقوله تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.¹ وقوله: يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ.²

لكن في معظم الآيات القرآنية لا يقص عذاب الأمم السابقة ولا أوعد بالعذاب إلا بسبب يقدمه. من خلال الآيات المتعلقة بالعذاب نجد أن أسباب العذاب التي أشار إليها القرآن كثيرة، ومنها:

1. الظلم والكفر:

الظلم كما قال الراغب الأصفهاني هو: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة.³ وله صور أعظمها الشرك كما قال الله: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.⁴ وحكى

¹ سورة المائدة: 40

² سورة العنكبوت: 21

³ الراغب الأصفهاني. المرجع السابق. ص 315

⁴ سورة لقمان: 13

كثير من الآيات عن حال الأمم السابقة المعذبة بسبب الظلم مثل قوله: **وَتِلْكَ الْقُرَىٰ**
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا.⁵ قال الطبري وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكتنا أهلها
لما ظلموا، فكفروا بالله وآياته.

وقال عن قوم فرعون وغيرهم: **كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بَدُوءِ يُوحىٰ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ.⁶ قال الطبري: يقول تعالى: **وكم**
يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون. وهم يعبدون غير من ينبغي أن يُعبد، ويعصون
من لا ينبغي لهم أن يعصوه.⁷

وأيد قول تعالى: **فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ**
مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ.⁸ وقوله: **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ**
شَدِيدٌ.⁹ قال ابن كثير في تفسيره الآية بقوله: **وكما أهلكتنا أولئك القرون الظالمة المكذبة**
لرسلنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم.¹⁰

⁵ سورة الكهف: 59

⁶ سورة الانفال: 54

⁷ الطبري. المرجع السابق. جلد 8. ص 245

⁸ سورة الحج: 45

⁹ سورة هود: 102

¹⁰ ابن كثير. المرجع السابق. ج 2. ص 440

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.¹¹

وأما الكفر، منها:

1. الكفر بأيات الله كقوله: كَذَابٍ أَلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ.¹²

2. الكفر بنعمة الله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ.¹³ يقول الطبري في بيان معنى الآية: ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله

فجحدتموها بترك شكره عليها وخلافه في أمره ونهيهِ وركوبكم معاصيه إن عذابي

لشديد، أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي.¹⁴ وقال المراغي في قول

تعالى: (وَلَئِن كَفَرْتُمْ) النعم وجحدتموها فلم تقوموا بواجب حقها عليكم من

شكر المنعم بها.¹⁵

¹¹ سورة الإنسان: 31

¹² سورة الأنفال: 52

¹³ سورة إبراهيم: 7

¹⁴ الطبري. المرجع السابق. مجلد 7. ص 460

¹⁵ المراغي. المرجع السابق. مجلد 5. ص 130

3. الكفر بأنبياء الله وما جاؤوا به: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنُفُوسُ دُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.¹⁶

وقوله: وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ

مُهِينٌ.¹⁷

2. النفاق

وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ

نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ.¹⁸ قال الطبري في تفسير هذه الآية:

سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين، إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر.¹⁹

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمْ

اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ.²⁰ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.²¹ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا.²²

3. الكتمان بحق أو الاشتراء به

¹⁶ال عمران: 181

¹⁷سورة النساء: 14

¹⁸سورة التوبة: 101

¹⁹الطبري. المرجع السابق. مجلد 6. ص 456

²⁰سورة التوبة: 68

²¹سورة النساء: 138

²²النساء: 40

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.²³

والمقصود من الكتم ما أنزل الله من الكتاب هو كما قال المراغي: أي إن الذين يخفون ما أنزل الله من وحيه على رسوله، أو يؤولونه ويحرفونه ويضعونه في غير موضعه برأيهم واجتهادهم، في مقابل الثمن القليل من حطام الدنيا كالرشوة على ذلك أو الجعل (الأجر) على الفتاوى الباطلة أو نحو ذلك مما يستفيده الرؤساء من المرءوسين، وسمى قليلا لأن كل عوض عن الحق فهو قليل في جنب ما يفوت آخذه من سعادة الحق الدائمة بدوام المحافظة عليه.²⁴

وهم كما قال ابن كثير: اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم، مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم.²⁵

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.²⁶

²³ سورة البقرة: 174

²⁴ المراغي. المرجع السابق. مجلد 1. ج 1. ص 51

²⁵ ابن كثير. المرجع السابق. ج 1. ص 196

²⁶ سورة ال عمران: 77

قال أبو جعفر كما نقل الطبري: إنّ الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه، باتباع محمد وتصديقه والإقرار به وما جاء به من عند الله وبأيماهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها.²⁷

4. المنع من الخير

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.²⁸

قال مجاهد كما نقل الطبري في قوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.²⁹

الفصل الثاني: أنواع العذاب

ينقسم العذاب وقت وقوعه إلى نوعين: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، واستدلّ هذا من قول الله: فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ

²⁷ الطبري. المرجع السابق. مجلد 3. ص 319

²⁸ سورة ال عمران: 114

²⁹ الطبري. المرجع السابق. ج 3. ص 402

نَاصِرِينَ³⁰ أما العذاب في الدنيا كما شرح المراغي في تفسيره وقال: أي فأما الذين كذبوك وهم اليهود فأعذبهم في الدنيا بإذلالهم بالقتل والأسر وتسليط الأمم عليهم، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى، وهم لا يجدون حينئذ نصيرا كما لم يجدوا ذلك في الدنيا.³¹

وقال ابن كثير: وكذلك فعل تعالى بمن كفر بالمسيح من اليهود، أو غلا فيه وأطراه من النصارى؛ عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق.³²

واستدل أيضا بقول الله: وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ³³ وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.³⁴

ومن جنس هذا ما قال الأستاذ قريس شهاب أن العذاب نوعان، الأول العذاب بسبب العمل المخالف بسنة الله في العالم كمثل كثرة الأكل يؤدي الى ظهور الداء في الجسد. فطبعاً

³⁰ سورة ال عمران: 56

³¹ المراغي. المرجع السابق. مجلد 1. ج 3. ص 148

³² ابن كثير. المرجع السابق. ج 1. ص 347

³³ سورة التوبة: 74

³⁴ سورة النور: 19. وانظر إلى سورة الحشر: 3

أن هذا قد وقع في الدنيا. والثاني العذاب بسبب ترك الحكم الشرعي مثل ترك الصلاة او الصوم او غير ذلك.³⁵ وهذا يمكن وقوعه في الدنيا وفي الآخرة
أما عاقبته فينقسم العذاب إلى قسمين:

الأول هو عذاب الاستئصال هو عذاب الذي أهلك الله به عامة، ولم يُبقِ على وجه الأرض منهم أحدًا. كما وقع على قوم نوح: وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ.³⁶

والثاني هو عذاب الأفراد وهو العذاب الذي لا يؤدي إلى إهلاك الناس في الأرض لكن إلى بعض الناس فقط، كما وقع على قارون وفرعون. فَحَسَبْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ.³⁷

المبحث الأول: العذاب في الأمم السابقة

قص القرآن أن الله قد أنزل العذاب إلى الأمم السابقة على أشكال متنوعة، منها:

1. الطوفان والغرق:

الطوفان هو أول عذاب استئصال عذب الله به قوم نوح. قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ.³⁸

³⁵Quraish Shihab. *Op.cit.* Pg. 531

³⁶سورة الأنبياء: 77

³⁷سورة القصص: 81

وأما قوله: فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ.³⁹ أي: أهلكهم الله بعامه، ولم يُبقِ على وجه الأرض

منهم أحدًا. والحقيقة، هذه الآية تكلمت عن قوم نوح الذي يعذب بطوفان. والمراد أنهم أغرقوا في الطوفان.

وكان قوم نوح كلهم هالكين بذلك العذاب إلا نوح ومن معه من أصحاب السفينة:

فَأَجْبِيَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.⁴⁰ وهم معدَّبون بسبب تكذيبهم على رسولهم نوح عليه السلام، كما أشار إليه القرآن: تَمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا.⁴¹ من أجل معاصيهم وذنوبهم، ذلك ما قاله المراغي.⁴² و قال ابن كثير: من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على

كفرهم ومخالفتهم.⁴³ وكانت هذه القصة حكي الله بها في سورة هود 25-49.⁴⁴

³⁸ سورة العنكبوت: 14

³⁹ سورة الأنبياء: 77

⁴⁰ العنكبوت: 15

⁴¹ سورة نوح: 25

⁴² المراغي. المرجع السابق. جلد 10. ج 19. ص 89

⁴³ ابن كثير. المرجع السابق. ج 4. ص 428

⁴⁴ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِزُكُمْ مَوْجًا وَاتَّبَعْتُمْ بَطُورًا وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْهُمْ مُلَأُوا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35) وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

ثم عذب الله فرعون وجنوده بالغرق في اليم أو البحر وعرفنا هذا من قول تعالى:
 فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ.⁴⁵ قال ابن كثير:
 انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم، وهو البحر الذي فرقه لموسى، فجاوزه وبنو إسرائيل معه،
 ثم ورد فرعون وجنوده على أثرهم، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم، فغرقوا عن آخرهم،
 وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها.⁴⁶

2. الريح

وهو عذاب الله عذب به قوم عاد لما كفروا برهم. قال تعالى: وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ
 صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.⁴⁷ قال المراغي: أي وأما عاد فأهلكوا بريح مهلكة عنت عليهم بلا شفقة ولا
 رحمة.⁴⁸ وقال: فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
 اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي

مُعْرُوفُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ
 تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) وَهِيَ
 تَجْرِي بِهَيْمٍ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ
 الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ وَخَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ
 أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
 وَعَدَّكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)

⁴⁵ سورة الأعراف: 136

⁴⁶ ابن كثير. المرجع السابق. ج 2. ص 232

⁴⁷ سورة الحاقة: 6

⁴⁸ المراغي. المرجع السابق. مجلد 10. ج 19. ص 52

أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقِهِمْ عَذَابَ الْحُزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ.⁴⁹

3. الصيحة:

وهي عذاب الله الذي عذب به قوم صالح أو ثمود كقوله تعالى: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ.⁵⁰ قص القرآن قصة قوم صالح في سورة القمر.⁵¹ ويسمى أيضا الصيحة بالرجفة وأشار اليه قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ.⁵² قال الزمخشري أن الرجفة هي الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها.⁵³ وكذلك قال الطبري: الرجفة ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة.⁵⁴

4. الحاصب

⁴⁹سورة فصلت: 15-16

⁵⁰سورة هود: 67

⁵¹كذبت ثمود بالنذر (23) فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر (24) أولقي الذكرك عليه من بيننا بل هو كذاب أشير (25) سيعلمون عدا من الكذاب الأشير (26) إنا أرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واضطرب (27) ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر (28) فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر (29) فكيف كان عداي ونذر (30) إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المخطير (31)

⁵²سورة الأعراف: 77-78

⁵³الزمخشري. المرجع السابق. ج 2. ص 119

⁵⁴الطبري. المرجع السابق. مجلد 5. ص 538

قال البيضاوي أن حاصب هو ريح عاصف فيها حصباء.⁵⁵ و أن هذا العذاب الذي عذب الله به أصحاب الفيل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ.⁵⁶

5. الخسف:

وهو عذاب الذي عذب الله به قارون لما بغى وأفسد فقال: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ.⁵⁷ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ.⁵⁸ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض.⁵⁹

6. الجوع والعطش وضيق الأرزاق

ومن أنواع العذاب هو الجوع والعطش وضيق الأرزاق، وقد وقع هذا بسبب الكفر على ما أعطى الله إليه، وقد حكي القرآن عنه في قوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

⁵⁵ البيضاوي. المرجع السابق. مجلد 2. ص 210

⁵⁶ سورة الفيل: 1-4

⁵⁷ سورة القصص: 81

⁵⁸ سورة العنكبوت: 40

⁵⁹ ابن كثير. المرجع السابق. ج 3. ص 399

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.⁶⁰ وقال أيضا: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورًا. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورًا.⁶¹

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس (صاحبة سليمان) منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ.⁶²

وقال: فَأَعْرَضُوا أَي عَنْ توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، كما قال هدهد سليمان: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ.⁶³

8. المسخ:

⁶⁰ سورة النحل: 112

⁶¹ سورة السبأ: 15-17

⁶² ابن كثير. المرجع السابق. ج 3. ص 509

⁶³ سورة النمل: 22-24

وقد عذب الله بني إسرائيل عندما اعتدوا في السبت {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}.⁶⁴ ومعذبون بأنهم اعتدوا، والاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء.⁶⁵ قال البيضاوي: السبت ، وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام، واشتغلوا بالصيد ، وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها أيلة، وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطوم، فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد.⁶⁶ وقال: ⁶⁷وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ.⁶⁷

المبحث الثاني: العذاب الموعود في الدنيا

والعذاب الموعود في الدنيا هنا هو العذاب الذي سيقوم وقوعه في الدنيا منها:

1. إقامة الحد وأشار إليه قول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ⁶⁸

⁶⁴ سورة البقرة: 65

⁶⁵ المراغي. المرجع السابق. مجلد 1. ص 139

⁶⁶ البيضاوي. المرجع السابق. مجلد 1. ص 67

⁶⁷ سورة المائدة: 60

⁶⁸ سورة النور: 19

قال المرغي في تفسير هذه الآية: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم، (هُمَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: لهم عذاب وجميع في الدنيا، بالحد الذي جعله الله حدًا لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك.⁶⁹

وأيد قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةً جَلْدَةً. ⁷⁰ وقوله في حد السارق: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. ⁷¹

2. ما أصاب إلى الناس من القتل والسي، وأشار إليه قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ⁷²

فسر الزمخشري الخزي أنه القتل والسي، أو الذلة بضرب الجزية. ⁷³ وقال الطبري أن الخزي: العار والشر والذلة إما القتل والسب، وإما الذلة والصغار بأداء الجزية. ⁷⁴

وأيد المراغى: فخزي الدنيا بما يعقبه الظلم من الفساد المؤدى إلى الذل والهوان، ولا ظلم أكبر من إبطال العبادة من المساجد والسعى في خرابها، وقد تحقق ما أوعد به الله فحلّ

⁶⁹المراغى. المرجع السابق. مجلد 6. ج 18. ص 87

⁷⁰سورة النور: 2

⁷¹سورة المائدة: 38

⁷²سورة البقرة: 114

⁷³الزمخشري. المرجع السابق. ج 1. ص 179

⁷⁴الطبري. المرجع السابق. مجلد 1. ص 548

بالرومانيين الخزي في الدنيا فتقسمت دولتهم، وتشتت ملكهم، ولحقهم الذل والهوان على يد غيرهم من الأمم القوية.⁷⁵

وقال تعالى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَإِيَّاهُ زُكْرًا وَتَسَبَّحْتَ لِللَّهِ نَهَارًا وَلَيْلًا وَإِن تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ أَسْفُودًا فَتَكُونُ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ ظَنَنَّا أَنَّ عَزَابَنَا عَلَيْهِمْ أَهْوَنُ مِنْ نَاصِرِينَ.⁷⁶

قال المراغي في تفسيره: أي فأما الذين كذبوك وهم اليهود فأعذبهم في الدنيا بإذلالهم بالقتل والأسر وتسليط الأمم عليهم.⁷⁷

وقال ابن كثير: عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك.⁷⁸

المبحث الثالث: العذاب الموعود في الآخرة

⁷⁵المراغي. المرجع السابق. مجلد 1. ص 198

⁷⁶سورة آل عمران 55-56

⁷⁷المراغي. المرجع السابق. مجلد 1. ج 1. ص 171

⁷⁸ابن كثير. المرجع السابق. ج 1. ص 347

أعد الله العذاب في الآخرة بالنار كقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ.⁷⁹ وفي كثير من
الآيات وعد الله عباده المتكبرين نار جهنم، ومنها قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاءُُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.⁸⁰

وكان في النار عذاب متنوع منها:

1. الحرق المكررة وهو قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا
نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا.⁸¹
2. الشراب من حميم وهو قوله تعالى: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ
حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.⁸² وأيد قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ. وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ. مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ سورة.⁸³

⁷⁹ سورة التوبة: 68

⁸⁰ سورة النساء: 93

⁸¹ سورة النساء: 56

⁸² سورة يونس: 4

⁸³ سورة إبراهيم: 12-13

الفصل الثالث: طريقة دفع العذاب

المبحث الأول: ترك الذنوب والمعاصي

كما قد بحثنا سابقا، أن العذاب منزل بسبب الذنوب والمعصية، إذن الطريقة الأولى لابتعاد من العذاب هو ترك ما يؤدي إلى ذنب.

المبحث الثاني: الاستغفار

وأشار الله أنه لا يعذب قوما إذا كان فيه رسول الله، أو إذا كانوا يستغفرون ربه من ذنوبهم.

قال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.⁸⁴

قال الزمخشري: كأنه قال تعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم أن لا يعذبهم وفسر في قوله (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم، كقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ.⁸⁵ ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم. وقيل معناه وما كان

⁸⁴ سورة الأنفال: 33

⁸⁵ سورة هود: 117

الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين.⁸⁶

ونقل الطبري عن ابن أزي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فأنزل الله عليه: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"، قال: فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأنزل الله: "وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون". قال: فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعني بمكة. فلما خرجوا أنزل الله عليه: "وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياء". قال: فأذن الله له في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم.⁸⁷

قال المراغي: ما كان من سنة الله ولا من مقتضي رحمته وحكمته أن يعذبهم وأنت الرسول فيهم، لأنه إنما أرسلك رحمة ونعمة لا عذابا ونقمة - إلى أنه قد جرت سنته أيضا ألا يعذب أمثالهم من مكذبي الرسل وهم بين أظهرهم، بل كان يخرج الرسل أولا كما حدث لهود وصالح ولوط.⁸⁸

⁸⁶الرمحشري. المرجع السابق. ج 2. ص 210

⁸⁷الطبري. المرجع السابق. مجلد 6. ص 234

⁸⁸المراغي. المرجع السابق. مجلد 3. ج 9. ص 202

قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي صلى الله عليه وسلم، والاستغفار، فذهب

النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار.⁸⁹

⁸⁹ابن كثير. المرجع السابق. ج 2. ص 291